العلاقات الدّلاليّة في شعرِ أبي طالبٍ (عليه السلام) دراسة نصيّة

علي يوسف يعقوب

أ.م.د منتهى عناد تمل

جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية

المستخلص:

يُعدُّ البحثُ في النّصوصِ وعلاقاتها الدّلاليّة ميزة حيوية في الميدانِ اللُّغويّ، فالألفاظُ تتضافرُ فيما بينها لإنشاءِ دلالةٍ أنيقةٍ يؤثرُ فيها المقام الثّقافيّ أو الاجتماعيّ، والعلاقاتُ الدّلاليّةُ منْ أهمِ الرّوابطِ المعْنويّةِ التي تعملُ على تماسكِ النّصِ وتيسيرُ عملية الفهمِ في أثناء الاتّصالِ، ولهذهِ العلاقاتِ دورٌ مُهمٌ في تنظيمِ الأحداثِ داخلَ بنية النّص، والرّبطِ بينَ متوالياتِهِ حتى يكونَ النّصُ مُترابطاً ومُنسجماً، وهذهِ العلاقاتُ تُعدُّ مركزاً مهماً منْ مراكزِ البحثِ النّصيّ الذي يهدفُ إلى الكشفِ عنْ معالمِ النّصِ، فلا يَكادُ يخلو منها نص يقصدُ تحقيقَ درجةٍ معينةٍ منَ التّواصلِ، ولا سيما أنّها تعملُ في بناءِ اللاحقِ على السّابق، فهي تعملُ على تجانسِ النّصِ وانسجامِهِ وتماسكِهِ، والعلاقاتُ الدّلاليّةُ تتطلبُ منَ المتلقي مضاعفة الجُهدِ في فهمِ جُمل النّصِ فهماً جيداً، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها وارتباطها بمضمونِ النّص؛ حتى يَتسنى لهُ تحديد نوع العلاقةِ الرّابطة، ويُلحظُ أنّ العلاقاتِ الدّلاليّة في شعرِ أبي طالبٍ (ع) لها دورٌ بارزٌ في حبكِ النّصِ، وتلاحم المفاهيم التي احتواها مُنتجُ النّص في شعرهِ، وهي كثيرةٌ ومتنوعةٌ وقدْ حَفَلَ شعرُ أبي طالبٍ (ع) بالكثيرِ منها، فقدْ وظّفها مُنتجُ النّص توظيفاً فنياً .محكماً في الرّبطِ بين قضايا النّص وأحداثه، وصَنَعَ التّماسك بما يخدمُ فكرة النّص الرّئيسة.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الدّلاليّة، شعر أبي طالبٍ، دراسة نصيّة.

Semantic Relations in Abu Talib's Poetry (PBUH): A Textual Study

Ali Youssef Yaqoub

Asst.Prof. Muntaha Inad Tamil, Ph.D.

University of Basrah/ College of education for Human Sciences, Dept. of Arabic Language

Abstract

Investigating texts and their semantic links is an essential aspect of linguistics. Words integrate to form a refined meaning shaped by cultural or social context. Semantic ties are crucial moral connections that unify the text and enhance comprehension during communication. These relationships are crucial for structuring events within the text and connecting its sequences, ensuring coherence and harmony. These linkages provide a crucial focal point of textual studies that seeks to elucidate the characteristics of the text. Few texts strive for effective communication without them, as they serve to build upon prior content and provide textual coherence.

The coherence, cohesion, and semantic relationships necessitate that the recipient exert additional effort to comprehend the sentences within the text, their interrelations, and their connection to the overall content. This understanding is essential for discerning the nature of the connecting relationships. Notably, the semantic relationships in the poetry of Abu Talib (peace be upon him) play a significant role in the text's structure and the cohesion of the concepts articulated by the poet. His poetry is replete with diverse semantic relationships, which he skillfully employed to intricately link the text's themes and events, thereby fostering cohesion that supports the text's central idea.

Key words: semantic relations, Abu Talib's poetry, textual study.

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصّلاة والسّلام على رسولهِ المصطفى الصّادق الأمين، وعلى آله الطّاهرين وصحبه المنتجبين .

وبعد: للعلاقاتِ الدَّلاليّةِ أنواع عدَّة تعملُ على تحقيقِ التَّماسكِ والانسجامِ في النَّصِ، وترابط أواصرهِ، ويكونُ هذا عبر علاقاتٍ مُعينةٍ تُستعمل للوصلِ التَّركيبي، وانطلقَ البحثُ إلى توضيحِ دور هذهِ العلاقات في ربط النَّص وحبكهِ في شعرِ أبي طالبٍ (عليه السلام)، فالبحث وضحَ وظيفة العلاقات الدَّلاليّة بوصفها علاقات تدلُّ على التعاضد والانسجام النَّصيّ، والبيان عن ملامح النَّص، في تجميع أجزائهِ، وتضم متوالياته من غير إظهار طرق شكلية ترتكزُ عليها غالباً، لقدْ أتى البحث على ذكر أنماط العلاقات الدَّلاليّة في الدَّراسات النَّصيّة كـعلاقة (الإجمال والتَّفصيل، والسّبب والنَّتيجة، والعموم والخصوص، التقابل "التَّضاد" ....)، فالنَّص يعتمد على عدد من العلاقات الدَّلالية الظاهرة بينَ متعاقباته المتسلسلة وتتماسك في إنشاء قوي محكم، والنَّص الشّعريّ يمتثلُ لأسلوبٍ داخليّ منَ العلاقات يوصل بين مراكزها ومعاييرها، وتنشأ الدّلالات وتندمج، وعلى الرَّغم منْ تعدد العلاقات الدَّلاليّة غير أنَّها تتوافق في إظهار الوصلات التَّواصليّة بينَ النَّص الشّعريّ عبر استخلاص هذه العلاقات المهيمنة على النَّص.

إنَّ الدَّراسةَ ستقتصرُ على بعضِ العلاقاتِ الدَّلاليّةِ بحسبِ كثرة ورودها في شعرِ أبي طالبٍ (عليه السلام) وفيما يأتي تبيان يوضحُ ذلكَ:

١ـ علاقةُ الإجمالِ والتّفصيل :

وهي من اهمِ الرّوابط الدَّلاليّة التي تُساعدُ على بناءِ النَّص، وتعْني ((إيرادُ معْنًى على سبيلِ الإجمالِ، ثُمَّ تفصيلهُ أو تفسيرهُ أو تخصيصهُ))[١]، فالمُجملُ لا تتضحُ دلالتهُ إلَّا بذكرِ التّفصيلاتِ التي تأتي بعدَهُ[٢].

فهي ((إحدى العلاقاتِ الدَّلاليّةِ التي يشغلها النَّصَ لضمانِ اتصال المقاطع ببعضها عنْ طريقِ استمراريةِ دلالة معينة في المقاطعِ اللاحقةِ وأنَّ علاقةَ الإجمالِ / التفصيل تسيرُ في اتجاهينِ:

إجمال ⟵ تفصيل، وتفصيل ⟵ إجمال، ممّا ينقلُ النَّص منْ رتابةِ الوتيرةَ الواحدةَ إلى تنامٍ مطردٍ بسلوكِ تينك الطريقتين))[٣].

وهذهِ العلاقةُ شديدةُ الصّلةِ بالتّماسكِ النَّصيّ، فالتّفصيل يُعدُّ شرحاً للإجمالِ، والاجمال - في الغالب - سابق التّفصيل، فالتّفصيل يحمل المرجعيّة الخلفيّة لِمَا سبقَ ذكرهُ في الإجمالِ وكذلكَ يُمثلُ رداً للعَجْزِ على الصّدرِ في الشّعرِ وغيرِهِ[٤].

يقولُ محمد الشّاوش: ((إنَّ الإجمالَ والتّفصيلَ ضربٌ خاصٌ منْ إدراكِ الظّاهرةِ فالظّاهرةُ الواحدةُ يُمكنُ أنْ تُدرك وتُعبر عنْ إجمالِها أو منْ حيثُ هي كُلٌّ، ويُعبرُ عنها المتكلم على ذلكَ النّحوِ بالصّيغةِ المناسبةِ للإجمالِ، كما يمكنهُ أنْ يدركَها على نحوٍ مُفصلٍ

معتبراً انقسامها إلى أجزاءٍ ويُعَبْرُ عنْها على تلكَ الصّورة بالصّياغةِ المناسبة، وقدْ يكونُ التّفصيل وحدهُ كما يكونُ الإجمالُ وحدهُ قدْ يكونُ أحدهما معاقباً في صورةِ إجمالٍ بعْدَ تفصيلٍ او في صورةِ تفصيلٍ بعْدَ إجمالٍ))[٥].

وقدْ أدرجَ الدّكتور أحمد مطلوب مصطلح الإجمال والتّفصيل ضمن مصطلحِ الإطناب قائلاً: ((يؤتى بالإطنابِ بطريقِ الإيضاح بعْدَ الإبهامِ لِيرى المعْنى في صورتينِ مختلفتينِ أو لِيتمكن في النّفسِ فضل تمكن، فإنَّ المعْنى إذا أُلقي على سبيلِ الإجمال تَشُوقَتْ نفسُ السّامعِ إلى معرفتِهِ على سبيلِ التّفصيل والإيضاح))[٦].

فالسّامعُ عنْدَما يلقى الكلامَ في الإجمال تشوقَتْ لهُ نفسُهُ لمعرفةِ تفصيله، وأثارتِ الدَّهشةَ، لفتتْ انتباههُ، فالتّفصيلُ هو الذي يُزيلُ هذهِ الإثارةَ والدَّهشةَ لدى المتلقي، ويكونُ مدعاة للتّزودِ منْ الأفكارِ المبسوطةَ والمفسَّرة، فالتّحولُ منَ الإجمالي إلى التّفصيلِ مع الإثارةِ وسعةِ المعرفة تَنقل المتلقي إلى اتساعٍ أكبر وأوسع في النَّص[٧].

وقالَ تمامُ حسان: ((إنَّما يأتي التّفصيلُ مُقترناً بالإجمالِ فيكونُ بمنزلِ التّعريف من التّنكيرِ، إذْ يجدُ المرءُ في كُلٍّ منْهما دلالةً، ولكن دلالة التّفصيلِ كدلالةِ التّعريفِ أكثرُ تحديداً منْ قرينتِها))[٨]، فجعلَ منزلة التّفصيل من الإجمال بمنزلةِ التّعريفِ والتّنكيرِ مع الاحتفاظِ بكلّ نوعٍ بدلالتِهِ، ولكن جَعَلَ دلالة التّفصيلِ والتّعريفِ أكثر تحديداً منْ قرينتِها، أي: دلالةُ الإجمالِ والتّنكيرِ. فالانتقالُ منَ الإجمالِ إلى التّفصيلِ لهُ دورٌ فعالٌ في ترابطِ النّص وتماسكهِ وتلاحمهِ دلاليّاً، ويعملُ على ترابطِ اجزاءَ النّصِ بعضَها ببعضٍ.

وتُلحظُ علاقةُ الإجمالِ والتّفصيلِ بشكلٍ لافتٍ في شعرِ أبي طالبٍ (عليه السلام) سواءٌ أكانَ على مستوى البيتِ الواحدِ في القصيدةِ أم على مستوى أبياتٍ عدّةٍ متتاليةٍ في قصيدةٍ واحدةٍ، ويجبُ أنْ نُذكّرَ هُنا أنَّ عمليةَ تقويض الخطاب الأدبيّ، والشّعريّ خصوصاً بوساطةِ القواعد اللسانيّة خاصةً التّياراتِ التّداوليّة التّوليديّة آلَ إلى صياغٍ منهاجيةٍ لا تُميّزُ الخطابَ الأدبيّ عنْ غيره، وتمنحُ لهُ الخصوصيةَ التي يتميزُ بها، وهذا ما جَعَلَ بعضُ الشّعراء والسّيمائيين يُلقي الضَّوءَ على جوانبٍ دونَ أُخرى[٩]؛ لأنَّ هناكَ فروقاً في مقصديّةِ المُنتجِ ومقصديّةِ النَّص، وخاصةً إذا اعتمدنا رُؤيا الحداثيين حيثُ يرونَ أنَّ التّلقي هو الذي يُحددُ هويةَ النَّص التي تكشفُ عنها آلياتُ انسجامِهِ التي منْ بينِ ما تحدّده علاقةُ الإجمال والتّفصيل، فأضفتْ مسحة شاعريّة وجمالية على الخطابِ الشّعريّ عنْدَ أبي طالبٍ (عليه السلام) وقدْ حققتْ للقصيدةِ نموّها[١٠].

ويُلحظُ في الأبياتِ الشّعريّةِ الآتيةِ، أنَّ أبا طالبٍ (عليه السلام) قدْ فَصّلَ البلاغ الذي وجههُ إلى قريشٍ قائلا[١١]:

ألا أبلغْ قُريشـــاً حيثُ حَلَّـــتْ	**وكـلُّ سرائــرٍ منْهـــا غـرورُ [منَ الوافرِ]**
فـإنّي والضّـوابحُ غاديـــــاتٍ	**وما تتلـــوا السَّفاسرةُ الشُّهُورُ**
لآلِ محمَّـــــدٍ راعٍ حفيـــــظٌ	**وَوَدُ الصَّـدرِ مِنّي والضَّمـيـرُ**
ولســتُ بقــاطعٍ رحمـي وَوَلدي	**ولو جرَّتْ مظالمِهـا الجــذورُ**
أيامرهم جمْعُهُـــــم افناءُ فهــرٍ	**بقتـــلِ محمَّـــدٍ والأمـرُ زُورُ**
فلا وأبيكَ لا ظَفَــرتْ قُريـــشٌ	**ولا لقيتْ رشـــــاداً إذْ تُشيـرُ**

حَرَصَ منتجُ النَّص في توضيحِ مظاهر هذا التَّبليغ الذي وجههُ لقُريشٍ وبيان تفاصيلهُ، فابتدأَ قائِلاً: (ألا أبلغْ قُريشاً حيثُ حلَّتْ)، إذْ جَعَلَ مركزُ الثُّقلِ وأساسُ الكلامِ هُنا البلاغُ الموجه إلى قُريشٍ الذي ذكرَهُ في بدايةِ نصّهِ، ثُمَّ بعْدَ ذلكَ فصّلَ الحديثَ مُبيناً مضمونَ هذا التّبليغُ، وهذا ما يدلُّ على أنَّ إبلاغَ قُريش هو العنوانُ الأساس والمركزيّ لهذهِ الأبيات؛ لأنَّها كانت المحور الرَّئيس الذي تحدثَ عنْهُ تفصيلاً، مُبيناً فيهِ حقيقة هذا التَّبليغ، فمنتجُ النَّص في ضوءِ ما ذكرَهُ في البيتِ الأوَّلِ يُدرَكُ أنَّهُ بدَأَ بحرفِ الاستفتاح (ألا) ليُلفتَ انتباه المتلقي إلى إبلاغٍ قُريش، ويعنفهم على ما بها منْ غرورٍ واضحٍ، وفخرُهُ (عليه السلام) بنفسِهِ قاسماً بالفرسِ التي تُرسلُ

صوتاً حين عَدْوِها، ولكِنْ ليسَ بالصَّهيلِ ولا بالحمحمة، وأقسم أيضاً في العالمِ بالأصواتِ والعلماء أنَّهُ مُخلصاً في رعايتهِ لآلِ محمَّدٍ، وقدْ ذكَرَ (عليه السلام) مَظهرَاً منْ مظاهرِ القيمِ الاجتماعيّةِ وهي صلةُ الرَّحمِ التي نَقَّاها الإسلامُ منْ براثنِ الجاهليّةِ منْ ظلمٍ وإسرافٍ، فاللهُ عزَّ وجلَّ ذكرَها في مُحكمِ كتابِهِ الكريمِ: ((**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**))[١٢]، وأنَّهُ غيرُ قاطعٍ رحمهُ مهما نَجم عنْ ذلكَ منْ حروبٍ متوعداً الفهرينِ الذينَ قرروا قتلَ محمدٍ زوراً وبهتاناً بحربٍ لا هوادةَ لها، باستعمالِ الاستفهام الإنكاري في (أيأمرهم جمعهم)، وهذا التَّفصيلُ منَ القولِ عَمَلَ على ترابطِ أجزاء النَّص، وكما أسْهَمَ في إضفاءِ مسحةٍ جماليّةٍ وأسلوبيَّةٍ على أشعارِ أبي طالبٍ (عليه السلام)، زيادةً على أنَّها منَ المقوماتِ الأساسيّة التي ترتكز عليها البنية الدَّلاليّة. وأخيراً يُنهي الشّاعر نصّه الشّعريّ ببيت مجمل فيه ما فصّله، وينفي ويُقسمُ قائلاً: **فلا وأبيكَ لا ظفرتْ قُريشٌ ولا لقيتْ رشاداً إذْ تُشيرُ**

فهذا البيتُ يُعدُّ إعادة لِمَا بدأه الشَّاعر، فأسلوب الشَّاعر وتنوعه باستعمالِ في بعض المواضع الألفاظ السّهلة الواضحة تجعل المتلقي يُدرك النَّص بسهولٍ ويُسرٍ دون عناء ولا ملل، زيادةً على أنَّ هذا اليُسرَ والوضوحَ تجعلُ منَ المتلقي سهولةَ معرفةِ مضمونَ النَّص، فأبو طالبٍ (عليه السلام) انمازَ شعره برصانتِهِ، وحسنِ السَّبكِ، وجودةِ الحبكِ، إذْ شعره يتصفُ بالقيمةِ الثَّقافيّةِ الكبيرة في بنيتهِ ودلالتِهِ.

وممّا يُحسن الإشارة إليه هُنا هو انَّ الشَّاعرَ استعملَ بعدَ حرفِ الاستفتاح (ألا) فعل الأمر الذي يدلُّ في هذا الموضع على التَّهديد، ومنْ ثَمَّ هذا التَّحول في الأفعالِ منْ أمرٍ وماض ومضارع يؤدي معنًى أبلغ ودلالة أقوى وإنجاز أوسع، وتجعلُ المتلقي يعيش أحداث حكاية الأفعال كأنَّ السَّامع شاهد على زمنٍ وقوع الفعل. فضلاً عنِ استعمالِ منتج النَّص أيضاً وسائل السَّبك التي تعمل على تماسك النَّص وترابطه ببعضه مثل: الإحالة والحذف والوصل، فأحال ضمير (هاء الغيبة) في الكلماتِ (منها، يأمرهم، جميعاً، جمعهم) على كلمةِ (قريشاً)، وهي إحالة نصيّة قبليّة بعيدة المدى، وكذلكَ أحالَ (ياء المتكلم) في الكلماتِ (مني، رحمي، ولدي) إحالة مقامية خارجيّة، وهو أبو طالبٍ (عليه السلام)، وكذلكَ ما للوصلِ منْ دور على تماسكِ النَّص، فاستعملَ الشّاعر حرف العطف (الواو) الذي يفيد مطلق المشاركة بين المعطوفين، فهذا التّنوع في أنواعِ السَّبك عملَ على ترابطِ أجزاءَ النَّصِ بعضها ببعض، وجعلَ النَّص مُتلائماً متلاحماً.

وعلى أثرِ ما تقدم ذكره يُلحظ وبشكل جلي للقارئ ما تقوم بهِ هذهِ العلاقة ودورها في انسجام بنية النَّص الدَّلاليّة واندماجها على نطاق واسع في الشِّعرِ كلِّه، إذْ عملَ هذا كُـلُّه على إبرازِ درجة الجماليّة والأسلوبية التي ساهمت في حبكِ النَّص في مضمونه ودلالته، فعملت على شدِّ المتلقي وعدم تشتيت ذهنه، وتظهر أيضاً اهتمام منتجُ النَّص في تتابعِ أفكاره وتسلسلِها وديمومةِ أشعاره، فعلاقة الإجمال والتّفصيل بينت أهمية هذه العلاقة، فهي تترك لمنتجِ النَّص مساحة واسعة في صوغِ شعره وبنائه بطريقة أسلوبية فنية مميزة تعمل على جذبِ المتلقي لمعرفةِ علاقة الكلمات والسّابقة واللاحقة لها ومدلولاتها التي تعمل على الرَّبطِ بينَ أجزاءِ الجملة، وتجعل منها كلاماً مفيداً يؤدي معنى[١٣].

٢ـ علاقةُ السَّبب والنَّتيجة :

وهي إحدى العلاقاتِ المهمةِ التي تؤدي إلى إحكامِ النَّص وانسجامه، فهي ضرورية لتماسكِ تتابعاتِ الجُملِ حتى تصيرُ نصّاً، وهذه العلاقةُ تعملُ عندما يكون هناك سببٌ يؤدي إلى نتيجةٍ، فلا تُعرفُ دلالة الجملة إلَّا بالرّجوعِ إلى الجملةِ السَّابقة في النَّصِ التي كانت سبباً في إيجادها، وجملة السَّبب تعملُ على تماسكِ النَّصِ دلاليّاً ومنطقيّاً، وتكون هذه العلاقة منسجمة، فالتّماسك في هذا النَّمطِ دلاليّ؛ لوجودِ رابط منطقيّ يربط بين السَّببِ والنّتيجةِ، وإنَّ المرجعيةَ في هذا النَّمطِ هي مرجعية سابقة داخليّة، وتعتمدُ على الدَّلالةِ غالباً؛ لارتباطِ السّبب بالمسببِ عنه[١٤]، وهي علاقة تربط بينَ مفهومينِ أو حدثينِ أو جملتينِ أحدهما ناتج عن الآخر[١٥].

ويكون هذا الرَّبط ربطاً منطقيّاً بينَ الجُملِ المتجاورة، وهذه العلاقة قدْ تُسْهِمُ في تلاحمِ عناصر الجملة الواحدة متجاوزة الرَّبط جملتينِ إلى الرَّبطِ بينَ متتالياتٍ منَ الجملِ التي ترتبط بمشاهدِ النَّطقِ[١٦].

ونلحظُ في ديوانِ أبي طالبٍ (عليه السلام) عدداً منَ النَّصوصِ الشَّعريّةِ تتضحُ فيها وبشكلٍ جليٍّ العلاقة السَّببية، ويُمكنُ رصْدَ هذهِ العلاقة في شعرِ أبي طالبٍ (عليه السلام)، إذْ قالَ مُتألماً من تصرفِ قومه[١٧]:

وكُفوا إليكُم منْ فضولِ حلومكُمْ ولا تذهبوا منْ رايكُم كُلَّ مذهبِ [منَ الطّويل]
ولا تبــدأونا بالظُّلامــةِ والأذى فنجْزيكم ضِعْفــاً مع الأمِّ والأبِ

يُلمسُ في النَّصِ الشَّعريّ إشارة إلى جزاءِ الذين يبدَأونَ بني هاشمٍ بالظُّلامةِ والأذى، فيقولُ لهم أبو طالبٍ (عليه السلام): لا تكونُوا بادئين بظلمكم لنا وأذاكم، فيكونُ ذلكَ سبباً في أنَّنا سنردُ الصّاع صاعين حتى لو كنتم ذوي رحمٍ معنا، وأنَّ الجزاءَ يكون مُضاعفاً بالعقوبةِ عليكم. يُلحظُ أنَّ علاقةَ السّبب والنَّتيجة قدْ أسهمَتْ إسهاماً واضحاً في انسجامِ النَّص عن طريقِ ربط أطراف النَّص، فهذه العلاقةُ أدتْ في الرَّبطِ بينَ الجملِ ربطاً دلاليّاً منطقيّاً، والفاء لها وظيفتان تؤديهما هي((شكليّةٌ ودلاليّةٌ شكليّة في كونِها عاطفة بينَ جملتينِ، ودلاليّةٌ في كونِها ربطتْ بينَ السَّببِ والنَّتيجةِ))[١٨].

فمنتجُ النَّص قدَّمَ السَّبب على النَّتيجةِ لإبرازِ القضية التي يدورُ حولها النَّص، وهو يحضُّ المتلقي في تأملها وتدبرها تدبراً منطقيّاً، ويَتبينُ ذلكَ عن طريقِ انتقاءِ مُرسل النَّص للأفعالِ المضارعة (تبدأونا، نجزيكم) التي يجعلُ المتلقي يعيشُ أحداثاً واقعية ومستمرة في زمنه إلى زمنِنا هذا، زيادةً على دورِ حرف العطف (الواو) في ربطِ متتالياتِ الجُمل وربطِ أجزاء النَّصيّ بعضها ببعض، فترابط النَّص بعلاقةِ السَّبب والنَّتيجة بأداءِ حرف (الفاء) الشَّكليّ والدَّلاليّ، والأفعال المضارعة وحرف العطف (الواو) أيضاً، فهذا التَّنوع في السَّبكِ والحبكِ أدّى إلى ترابطِ النَّص وتماسكِهِ وانسجامِهِ.

٣ـ علاقةُ العمُومِ والخصُوص :

يُعضدُ العموم ((صفة الاسم من حيثُ هو ملفوظ أو مدلول لفظاً؛ لأنَّه منَ الألفاظِ الثَّابتة لُغة لا عقلا ولا شرعاً، والعام يكون مظروفاً للخاصِ كون المفهوم الكلّيّ في الجزئيّ))[١٩]. بمعنى أي لفظِ عامّ لا يُفهمُ معناه وتفصيله إلَّا بذكرِ جزئياته، وليسَ هُناكَ خصوص بمعزلٍ عنِ العموم. والخصوصُ هو ((لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفرادِ فهو الخاصُ))[٢٠].

ويُلحظُ أنَّ هذه العلاقة تعتمدُ في معرفتها على المتلقي ومعرفته الإدراكيّة للتّمييزِ بينَ العامِ والخاص، فعادة ما يبدَأ بالعامِ، ومنْ ثَمَّ تخصيصه، فمجيء اللفظ العام وتخصيصه يعملُ على تفاعلِ المتلقي وشدَّه لروافدِ النَّص؛ لأنَّهُ أسرع تذكراً، وأسهل حفظاً، فبوساطهِ هذهِ العلاقة يسعى منتجُ النَّص إلى بيانِ وتوضيح النَّص دلالياً[٢١].

فالعلاقات الدَّلاليّة هي التي تجعلُ النَّص في حركةٍ ديناميّة والتي يلجأُ إليها منتجُ النَّص؛ لأجلِ التَّواصل المعرفيّ في بنيةِ النَّص الكُبرى.

وجاءَ في علاقةِ العموم والخصوص في شعرِ أبي طالبٍ (عليه السلام) في توبيخه لبني عبد شمسٍ وبني نوفلٍ على تظاهرهم على إذلالهم ببني هاشمٍ قائلا [٢٢]:

ألا أبلـغا عــنّي لؤيَّــاً رسالــةً بحقٍّ، وما تُغْني رسالةُ مُرسِـلِ [منَ الطّويلِ]
بني عمّنا الأدنينَ تيماً نخصُّهُم وإخوانَنا مِنْ عبدَ شمسٍ ونوفلِ

أظاهرتُم قوماً علينا أظِنَّـــــةً وأمْـرَ غويٍّ مِنْ غواةٍ وجُهَّلِ؟

ابتدأ منتجُ النَّص بكلامٍ عامٍّ موجه إلى بطونِ قُريش وتحذيرهم منَ التَّعرضِ للنَّبيّ (ﷺ)، فكانَ هذا التَّحذير على صورةِ رسائلٍ شعريّةٍ، وأنْ يُبلغَ الحاضر الغائب منهم، وهذا الخطابُ صادرٌ إلى بطونِ قريشٍ التي تدخلُ في شجرةِ نسبه - عندما عَلِمَ عزمَهم على الشَّرِ في قتلِ الرَّسول (ﷺ) والقضاء على دينه، فوجّه كلامه بصورةٍ عامّةٍ إلى بني لؤيّ عندما عَلِمَ بقرارهم بالقضاءِ على الإسلامِ المتمثل بالرَّسولِ الكريم ويقينه أنَّ خطابه مع قومِهِ لا ينفعُ لإدراكِهِ تصميمهم على تنفيذِ رأيهم، وخصَّ منتجُ النَّص رسالته وخطابه إلى أبناءِ عمِّهِ الأدنين، ولا سيّما تيم بن غالبٍ، وعبدَ شمسٍ ونوفلٍ، وقدْ أردفه مُستفهماً عنْ سببِ هذهِ العداوة وإجهارهم بها صراحة، وهو استفهام إنكاري على سبيلِ التَّقرير استعمله منتجُ النَّص للعتابِ واللوم، وكيفَ أنَّهم عاونوا قوماً متهمونَ، ويعْني بهم بنيّ بكرٍ بن عبدِ مناةٍ، واتبعتُم أمرَ أُناسٍ ضالينَ جهلة.

فبوساطةِ العلاقة الدَّلاليّة اتضح جليّاً أنَّ الذين خصّهم الشّاعر من بنيّ لؤيٍّ مضمون هذه الرَّسالة، وأُزيل الإبهام عنها، ويُلحظُ أنَّه بدأ نصَّه بحرفِ الاستفتاح (ألا) لِيُلفتَ انتباه السَّامع إلى إبلاغِ بني لؤيٍّ هذه الرَّسالة، فالعلاقة الدَّلاليّة وسيلة من وسائلِ الرَّبطِ النَّصيّ التي تعتمدُ على المتلقي ومعرفته وفكره في تخصيصِ العام، ومنتجُ النَّص عمَلَ على تحفيز ذهن المتلقي؛ لِيتفاعلَ مع النَّصِ لمعرفةِ مضمون الخطاب وهذا ما أراد إيصاله إلى ذهنِ المتلقي.

٤ـ علاقةُ التَّقابل (التّضاد) :

وهو ((أنْ يجمعَ بين المتضادين مع مُراعاةِ التقابل))[٢٣]. والضَّدان ((هُما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كانَ وجود هذا على الوجهِ الذي يوجد عليهِ ذلك، كالسَّوادِ والبياض))[٢٤].

وهذا المصطلحُ قدْ أُخْتُلفَ في تسميته وتشقيق المعنى[٢٥]، فهو أيضاً ((التَّطبيق والتَّكافؤ والطباق والمُطابقة))[٢٦]، ومنهم من عدَّه نوعاً من أنواعِ الاشتراك اللفظي[٢٧]، وأطلقَ عليه (دي بوجراند) ((عكس التَّساوي، وتردُ باطرادٍ في تنظيمِ المعلومات))[٢٨]. فهي إجراء يقومُ بهِ منتجُ النَّص؛ لِيُضفي الشّموليّة على معنى ما، بإظهارِ الشَّيء ونقيضه، ويعملُ على تمييزِ المعنى وصياغته[٢٩].

والتَّضادُ قادر على توليدِ الحركةِ الدَّاخليّة، وإنتاج الدَّلالات المُطلقة؛ لأنَّ التَّضادُ يُعَدُّ نوعاً من العلاقاتِ التَّلازميّةِ بين المعاني، فهذه العلاقة أقرب إلى الذِّهنِ من أيّ علاقةٍ أُخرى، فبمجردِ ذكر معنى من المعاني يستدعي المضاد إلى الذِّهن، ولا سيما ما بين الألوان، فذكْرُ البياض يستحضرُ في الذِّهنِ السَّواد[٣٠].

ويُساعدُ التَّضاد على عكسِ مواقف الذَّاتِ وأفعالها المتناقضة، وحالاتها العقليَّة، فالتَّضادُ يُعَدُّ عنصراً فاعِلاً في تكوينِ الخلق الشِّعريّ، وإنتاجِ الدَّلالةِ والخروجِ بالنَّصِ إلى مُستوى لُغةِ الأدبِ، ومن ثَمَّ فإنَّهُ يجعلُ النَّصَ حافلاً بالشِّعريّةِ، وأنَّ عملياتِ التَّضاد والأسلوبية تخلقُ بنية، فقيمة التَّضاد تكمنُ في نظامِ العلاقات الذي يقيمهُ بينَ العنصرين المُتقابلين[٣١]، ولا تنحصرُ علاقة التَّضاد بين المفردات من الكلماتِ، بلْ بينَ الجُملة والجُملة، وبينَ المتواليات النَّصيَّة[٣٢]، زيادةً على جماليّةِ أسلوبية النَّص.

وممّا أحْسنَ فيهِ الشَّاعِرُ في تضمينِ علاقةَ التَّقابل في نصوصّهِ الشّعريّةِ قوله في تأنيبِ طوائفَ مِنْ قُريش[٣٣]:

ألا ليتَ حظّي مِنْ حياطَةِ نَصْرِكُـــمْ بأنْ ليسَ ليّ نفعٌ لديكُـم ولا ضـرُّ [منَ الطّويلِ]
وسارٍ برِحْلي فاطِرُ النَّـــابِ جاشمٌ ضعيفُ القُصَيْرى لا كبيرٌ ولا بكرُ
مِنَ الخُـــورِ حتحـاتٌ كثيرٌ رُغـاؤهُ يُرَشُّ على الحاذَينِ منْ بَولِهِ قَطْرُ

حَرَصَ أبو طالبٍ (عليه السلام) ابتداءَ نصّهِ بحرفِ الافتتاحِ (ألا)؛ لِيسترعي انتباه السَّامع المتلقي للنَّصِ ممّا سيقوله لاحقاً، وأردفَ منتجُ النَّص كلامه بحرفٍ آخرَ، وهو (ليتَ) الذي يُفيدُ التَّمني لأمرٍ مُستحيل الحصول أو أمرٍ يَصْعبُ تحقيقه، وهو عدم نصرة بعض القبائلِ للنَّبيّ الأعظمُ محمد (ﷺ)، مثلُ قبائل بني عبد شمسٍ وبني نوفلٍ وغيرهم، فعَملَ مقارنة بينَ ثُنائيتينِ مُتقابلتين في شعرهِ

بعنوانِ (نفعٌ وضرٌ) و (كبيرٌ وبكرٌ) بعدَ وصولِ الشَّاعر إلى مرحلةِ اليَأس منْ نصرةِ هذه القبائل لابنِ عمِّهِ (ﷺ)، ويُلحظُ ممّا تقدَّمَ ذكره أنَّ منتجَ النَّص استعملَ أسلوب التَّضاد؛ لِخلقِ صورة شعرية لإيصالِ مقصديَّة قوله إلى المتلقي، فالتَّضادُ هُنا تحول إلى قانونٍ عامٍ في النَّصِ، فالفكرةُ تتحولُ وتتحركُ بينَ مستويينِ مُتناقضينِ هذه الحركة توحي للمتلقي بأنَّ ثمةَ قانوناً إيقاعيّاً عامّاً يتحكمُ بالنَّصِ إذْ أصبحَ ذلكَ الانتقال الدُّوري منَ الضِّدِ إلى الضِّدِ ضابطاً إيقاعيّاً مهماً، فبناء النَّص الشّعريّ على هذا التَّعاقب بينَ الأضداد يدفعُ المتلقي إلى التَّبصرِ والتَّفكرِ إلى مُلاحقةِ ذلكَ التَّوتر الدَّلاليّ والإيقاعيّ بحْثاً عنِ انفراجٍ لهُ[٣٤].

ويُعدُّ التَّقابلُ سمة من سماتِ الحبكِ الدَّلاليّ للخطاب، فهذه المُقابلة بالمفاهيمِ ودلالاتها بعكسها تُعطي النَّص اتساعاً لهذه المفاهيم الدَّلاليّة وقصديتها[٣٥]. زيادةً على استعمالِ منتجُ النَّص (الباء الزائدة) للتَّوكيدِ المتصلة بـ(أنْ) المصدرية النَّاصبة؛ ليُؤكِدُ هذه القصدية.

ويُلحظُ حذف حرف الجر (رُبّ) منْ لفظةِ (وسار) وتقديرُ الكلام (ورُبّ سار)، وحذفها جاءَ للتَّقليلِ، فالحذف أعطى جماليّة أسلوبيّة للنَّصِ وأبعده عن الملل والرَّتابةِ والتِّكرارِ، وجاءَ الحذفُ هنا؛ لأنَّه أبلغ من ذِكْره والتَّصريح به، زيادةً عن اختزالهِ للكلامِ واقتصادهِ، وَوَصَفَ أبو طالبٍ (عليه السلام) هذا السَّار وهو الجمل بأنَّه فاطرُ النَّابِ الذي بلغَ السَّنة التَّاسعة، وكانَ مُتكاره على السّيرِ ضعيف الأضلاع لا كبيرٌ ولا صغيرٌ وسريع المشي وكثيرُ الصُّوت، وكانت غزيرة اللَّبَن[٣٦].

وممَا يُحْسِنُ الإشارة إليه ومن الجماليّاتِ الأسلوبيّة التي أجادَ فيها أبو طالبٍ (عليه السلام) هو أسلوب التَّقديم والتَّأخير، فنراه قدَّمَ شُبه الجملة من الجارِ والمجرور (ليّ) وهو خبر ليس على اسمها (نفع)، فلهذا الأسلوب فوائد كثيرة ومحاسن جمَّة، فهو واسع التَّصرف بعيد الغاية، فتقديم الشّيء وتحويل اللفظ من مكانٍ إلى مكانٍ آخرَ، فإنَّكَ ترى شعراً يروقُكَ ما مسمعه، بديعاً[٣٧]. يُلحظُ هُنا جماليّةُ الانزياحات فيه، ويُعطي دلالة معينة لا ينفعها ترتيب آخرَ للعناصر اللغويّة في بنية نفسها[٣٨].

ودلَّ أيضاً هذا الأسلوب الانزياحي شدّة العتاب لمّا هجرَه قومه والنَّبيُّ (ﷺ) ولم ينصروه، فهذا الأسلوب ألبسَ النَّص حليةَ السَّبكِ والتَّماسكِ بينَ أجزائه، فضلاً عن وسائلِ السَّبكِ الأُخرى مثل: دورُ حرفُ العطفِ (الواو) في تلاحمِ النَّص وترابطِهِ، وأيضاً ما للإحالةِ بالضَّمائرِ من دورٍ في تماسكِ أوشاج النَّص، فقدْ أحالَ أبو طالب بالضَّميرِ (يا المتكلم) في لفظتي (حظِّي ، لي) إحالة مقامية خارج النص وهو ابو طالب (عليه السلام)، وأيضاً أحالَ بـ(كاف الخطاب) إحالةً مقاميّة في لفظتي (نصركم، لديكم) قَصدَ بها القبائل الذين لم ينصروه التي ذُكرت سابقاً، وأحالَ بضميرِ (هاء الغيبة) في عبارتي (رغاؤه، بوله) إحالة نصيّة داخليّة وهو (فاطرُ النَّابِ جاشمٌ)، فوسائلُ السَّبكِ والحبكِ أسهمت بشكلٍ واضحٍ في سبكِ النَّص شكلاً وحبكه نصّاً ومضموناً.

٥- علاقةُ الشَّرطِ والجوابِ :

الشَّرطُ هو ((سبب ضروري أو ممكن لتتابعِ ممكن))[٣٩]، فالشَّرطُ تعني العلامة والأمارة، أي: وجود الشَّرطِ علامةٌ لوجودِ جوابِهِ[٤٠].

فإنَّ وقوعَ الشّيءِ مُرتبطاً بوقوعِ غيره، أي: إذا وَقَعَ الأوَّلُ جملة فعل الشَّرطِ وَقَعَ جوابه[٤١]، فعلاقة الشّرطِ والجوابِ ((تقوم بينَ عنصرينِ في السّياقِ النَّصيّ تجعلُ العنصر الثَّاني بمنزلةِ جواب الشَّرط للعنصرِ الأوَّلِ، وإنْ خلا العنصر الثَّاني منَ العلاماتِ اللفظيةِ الدَّالة على هذه العلاقة))[٤٢]. ومنْ أدواتِ الشَّرط (إنْ، مَنْ، لو، إذا، متى، لو، لولا ...) سواء أكانت هذه الأدوات جازمة أم غير جازمةٍ، وأساس هذه العلاقة الدَّلاليّة (علاقة الشَّرطِ) قائمة على معنى الاستلزام[٤٣]، وقدْ وجدْتُ في شعرِ أبي طالبٍ (عليه السلام) توظيفَ هذهِ العلاقةِ واستثمارها في بناءِ ترابط الدَّلالاتِ المتتاليّةِ المتعلق بحصولِ فعلها على تثبتِ شرطها، فعَمَلَ على ربطِ مضامينها النَّصيّةِ، وحبكِ مفاهيمها حبكاً مُحكماً، فذكرها في عناقيد مُتراصةِ الإحكام، وأثَّــر هذهِ العلاقةِ واضحٌ في ديوانِ أبي طالبٍ (عليه السلام).

وممّا وَرَدَ منْ علاقةِ الشّرطِ والجوابِ في شعره (عليه السلام) في مدحِ بني عبد منافٍ وبني هاشمٍ عامة وفي مدح النَّبيّ خاصة قوله[٤٤]:

إذا اجتمَعَتْ يوماً قُريشٌ لمفخرٍ فعـــبدُ منافٍ سِرُّها وصَميمُـــها [منَ الطّويلِ]
وإنْ حُصّلَتْ أشرافُ كُـلِّ قبيلـةٍ ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُـــــها
فإنْ فخـــرتْ يومــاً فإنَّ محمَّدا هو المُصطفى منْ سِرّها وكريمُها

عَرَضَ منتجُ النَّص مَفاخر بني هاشمٍ، فافتخرَ بهم على قُريشٍ وعبدِ منافٍ وذلك بجعلِ بني هاشمٍ أشرف من بني عبدِ منافٍ، وحَرَصَ في بيانِ افتخاره على الجميعِ بوجودِ النَّبيّ محمَّد (ﷺ) عندَ بني هاشمٍ، فهو لا يُقللُ من شأنِ قُريشٍ بهذا الافتخار، وإنَّما علّا من شرفِهم وشأنهم؛ لأنَّ النَّبيَّ أشرفهم، وأقامَ بينَ كلِّ نصٍ ذَكَرَه جملة شرطية متوقفة الحصولِ شرطاً في وقوعِ فعلها، فقدْ كرّرَ الشَّرطَ هنا باستعمالِ أداتي الشَّرط (إذا وإنْ) بتكرارِ (إنْ) مرتينِ، والشّكلُ التَّالي يُوضحُ ذلك:

إذا اجتمعتْ يوماً قُريشٌ لمفخـــرٍ	فعبدُ منافٍ سِرَّها وصميمـها
وإنْ حُصّلَتْ أشرافُ عبدِ منـــافٍ	ففي هاشمٍ أشرافها وقديمــها
وإنْ فـــــخـرتْ يـــــوماً	فإنَّ محمداً هو المُصطفى سِرّها وكريمُها

فهذا التَّرابط بينَ طرفي أسلوب الشَّرط بوساطةِ علاقة الشَّرطِ عَمَلَ على انسجامِ الخطابِ دلاليّاً، فإنَّ وراءَ كلِّ أسلوبٍ شرطي مقاصِد لا تُفهمُ إلَّا في إطارِ الاستعمالِ والتَّداولِ، فالمتكلمُ يكون واعياً عندَ استعمالهِ أسلوب الشَّرطِ بما يقولُ وبما يقصدُهُ مِنْ كلامِهِ[٤٥]. زيادةً على دورِ المتلقي في تأويلِ المحذوفِ وتقديره، وقدْ ذُكِرَ سابقاً دور الحذف في اقتصادِ النَّص وتماسكه على مستوى سطحِ النَّص، وملءِ فراغاتِهِ، علاوة على استقصائه لفضائلِ آبائه وسيادتِهم وعلوهم ورفعتهم بينَ العربِ، فعزُهُم قديمٌ، ومقامهم عظيمٌ، ونسبهم عريق التي نبه المتلقي إليها، والتَّباهي بها، وهو المقصود من ذكرِ هذه الصِّفات الجليلة لآبائه وأجداده.

٦ـ علاقةُ التَّمثيلِ :

يُقْصدُ بالتَّشبيهِ به هو: الدَّلالة على مشاركة أمر لآخر في صفةٍ واحدةٍ أو أكثر[٤٦]، فهي علاقة دلاليّة ((تقومُ بالرَّبطِ بينَ القضايا وتتضافر مع العلاقاتِ الدَّلاليّةِ الأُخرى في بناءِ الوصف داخل النَّص))[٤٧]، فهو عَقدُ مماثلة بينَ أمرينِ أو أكثر قصدُ اشتراكهما في صفةٍ أو اكثر بأداةٍ لغرض يقصده المتكلم في نفسه[٤٨].

فعلاقة التَّمثيلِ تُساهم في حبكِ النَّصِ دلاليّاً، وتَمنحُ النَّصَ بُعداً جماليّاً، فهي مشاركة بينَ منتجُ النَّص والمتلقي، وتنمازُ في أنَّها تقرب المعاني إلى ذهنِ المُتلقي وتوضحه، وتعملُ في اتساعِ المعنى في أدائها اللُّغويّ وتعالقه بينَ طرفي التَّشبيه، فهي تعملُ على إحداثِ معانٍ جديدةٍ واختزالها في عباراتٍ موجزةٍ لتُولِدَ معاني واسعة، ولهذه العلاقةِ عدَّة روابط لفظية كـ (كانَ، الكاف، مثل، هكذا ...)[٤٩].

لقَدْ عَمَدَ منتجُ النَّص إلى ذكرِ هذه العلاقة وتوظيفها في شعره (عليه السلام) وكانَ لغرض منها إثارة المتلقي وتشويقه إليها، وتقريب المعنى والأفكار إليه.

ومن الأمثلةِ التي تُظهرُ براعة منتجُ النَّص في توظيفِ علاقة التَّشبيه وهو يبينُ حبَّهُ للنَّبيّ محمد (ﷺ) وحنانه عليه قائلاً[٥٠]:

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٩ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٤

إنَّ الأمــينَ محمَّداً في قومِــهِ عندي يفـوقُ منـازلَ الأولادِ [من الكامل]
لمَّــا تعلّـقَ بالزِّمــامِ ضممتــهُ والعيسُ قدْ قلَّصْـنَ بالأزوادِ
فأرفضَّ منْ عيني دمْـعٌ ذارفٌ مثلث الجُمـانِ مُفرَّقٌ ببــدادِ

وقدْ وجدتُ في شعرِ طالبٍ (عليه السلام) الصُّورة الحسيّة للجُمانِ المتلألئ في الواقعِ التي تخضعُ لتجربته الشَّعريّة، فشاكل بينَ دموعهِ المتلألئة والمتتابعة في عينيه وحبات اللؤلؤ المتساقطة على مفارقِ الجواد، فتشبيه دموعه بالجُمانِ لشيءٍ يفخرُ بنفسِهِ، فهو يُصورُ شعوره وأحاسيسه، فبكاؤه عزيز؛ لأنَّ الباكي والمَبكي عليه يستحقانِ هذه الصّورة في التَّشبيهِ مثلما يرى الشَّاعر، وانمازَ التَّمثيلُ بالإتقانِ في بيانِ تفاصيل هيأتها وشكلها التي أفضت إلى الوضوحِ والسُّهولةِ في التَّعبيرِ عن مشاعرِ وأحاسيس مُبدعها[٥١]، وهو يذرفُ دمعه على الأمينِ محمد (ﷺ) وهو عنده أفضلُ منزلة منَ أولاده، وذكره سبب ذرف هذه الدَّموع بتوظيفِ علاقة الشَّرط باستعمالِ الأداة (لمَّا) والرَّبط بين جواب الشَّرط (ضمته) وفعله (تعلَّق بالزِّمام)، وممّا زادَ كلامه تأكيداً استعمال حرفي التُّوكيد (إنَّ وقدْ)؛ لدفعِ غفلة السَّامع؛ ولتقويةِ كلامه وتثبيته في نفسِ المخاطب، والشَّكل التَّالي يوضح علاقة التَّرابط بينَ أطراف التَّشبيه:

المشبه	أداة التَّشبيه	المشبه به	وجه الشبه
دمع ذارف	مثل	الجُمان مفرق ببدادِ	الدَّموع المتلألئة

لقد وردتْ علاقة التَّشبيه في شعرِ أبي طالبٍ في مواطنٍ كثيرةٍ، ولهذه العلاقة دور في الرَّبطِ بينَ القضايا بالتّظافرِ مع العلاقاتِ الأخرى في بناءِ الوصف داخلَ النَّص، فهو فنٌ جميلٌ منْ فنونِ الخطاب يزيدُ المعنى وضوحاً[٥٢].

٧- علاقةُ الاستثناء :

هي من العلاقاتِ الدَّلاليّة التي تربط بينَ القضايا النَّصيّة، وتُستعملُ في بناءِ النَّص وترابط أجزائه، ومن أدواتِ الرَّبط التي تدلُّ عليها تتمثلُ بـ(إلَّا، سوى، غير، لكن، أنْ ...)[٥٣].وعرَّفه النُّحاةُ هو إخراج ما بعد الأداةِ من حُكمِ ما قبلها بشرطِ الفائدة[٥٤]، أو هو إخراج ما بعد إلَّا (المُستثنى) أو إحدى أخواتها منْ أدواتِ الاستثناء منْ حُكمِ ما قبله (المستثنى منه)[٥٥]، فهو أشبهُ ما يكونُ بعمليةِ الطّرح.

ولعلاقةِ الاستثناء ارتباط قوي بعلاقةِ الإجمال والتَّفصيل، فإنَّه يذكر الحُكم العام (المجمل) ومِنْ ثَمَّ يأتي بالتَّفصيلِ على الحُكمِ الخاص (المستثنى) بعد الأداةِ، ويأتي الاستثناءُ أيضاً للقصدِ باستعمالِ أداة النَّفي مع إحدى أدوات الاستثناء وفائدته التَّخصص[٥٦]، أي: أنَّه يُخصصُ صفة معينة بموصوفٍ مُعينٍ، وهي من العلاقاتِ الدَّلاليّة الصّريحة التي تقومُ بوظيفة ربط النَّص بالعالمِ الخارجيّ ربطاً دلاليّاً، ويتمُّ الرَّبط الدَّلاليّ عن طريق حرف الاستثناء الذي يربط المستثنى بالمستثنى منه.

وهذه العلاقة ذات مدًى سجاليٍّ واضحة القيمة من خلال اندراجها في سياق حجاجيّ عمَدَ إليها أبو طالبٍ (عليه السلام)؛ لتقويةِ بنية النَّص وجعله متماسكاً شكلاً ودلالةً، زيادةً على إقناعِ المتلقي وتنبيهه بمعارفه السَّابقة وتأكيده في نفسِهِ، ومواضع الرَّبط بأداةِ الاستثناء تبرز بشكلٍ جليٍّ في شعرِ أبي طالبٍ (عليه السلام)، وهو يتباهى بما انمازَ به قومهُ منْ فضيلتي النَّسبِ وسيادتهم في قُريشٍ بمكةَ فقال[٥٧] :

ونحنُ الصَّميمُ منْ ذُؤابةِ هاشـمٍ وآل قُصيٍّ في الخُطوبِ الأوائـلِ [من الطّويل]
وكانَ لنا حوضُ السِّقايةِ فيهــم ونحن الذِّرى منهم في الكواهلِ
فما أدركوا ذحلاً ولا سفكوا دمـاً وما خالفوا إلَّا شِـرارَ والقبائلِ

فقد أفادَ (النَّفي مع الاستثناء) في قوله: (وما خالفوا إلَّا شرارَ القبائل) الاختصاص واستمرار أمر سيادة مكة (قُصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب) جدهم على قريش، فكانتِ الجباية والسِّقاية والرِّفادة والنَّدوة واللواء بيدهِ، فحازَ شرفَ مكة كلَّه، فكانَ الأمرُ في قريشٍ في حياته أليه، حتى بعد مماته كالدِّينِ المتَّبع لا يُعملُ بغيره[٥٨]، وأنَّهم لا يحقدونَ ولا يُعادونَ أحداً إلَّا من عاداهم، ولا سفكوا دماً بغيرِ حقٍّ ولا يُخالفونَ ويُعادونَ إلَّا شرارَ القبائلِ من قريش، فقد أسهمت علاقة الاستثناءِ بالقصرِ في توضيحِ قصديّة الشَّاعر وهو يُبينُ حقيقة مضمونها أنَّ كلَّ هذه الفضائل محصورة في آلِ هاشمٍ دون غيرهم وأنَّهم لا يُخالفونَ الأشْرارَ من القبائلِ، ويُسهمُ الحصرُ أو القصرُ في خلقِ تلاحمِ النَّص وتماسكهِ واتساقهِ وترابطهِ بنيوياً ومعنوياً، ولا سيما أنَّ الاستثناءَ هنا يحملُ معنى القصدِ والاختصاص[٥٩].

زيادةً على أنَّهُ لضميرِ الفصلِ المكرَّر (نحن) المسبوق بحرفِ العطف (الواو) من دورٍ في تماسكِ النَّص وانسجامه، أضف على ذلكَ ما لحرفِ التُّوكيدِ (أنَّ) منْ دورٍ واضحٍ جليّ في ترابطِ اجزاء النَّص وتلاحمه، زِدْ على ذلكَ ما للجملةِ الإسميّة (نحن الصّميم) - المُسند إليه، والمُسند - منْ دلالةٍ واضحةٍ على إرادةِ معنى فخر الشَّاعر بقومه وشجاعتهم وعلوهم، وهي صفة دائمة غيرُ متغيرةٍ، فهم يتميزونَ بالشَّجاعةِ في كلِّ وقتٍ، فالجملة الإسميّة تُفيدُ تأكيد المعنى، وحتى أنَّها قدْ تؤثرُ في بعضِ المقاماتِ على الجملةِ الفعليّة[٦٠].

فقدْ قدَّمَ أبو طالبٍ (عليه السلام) أسلوباً مقنعاً يُلفتُ نظرَ المتلقي ويشدَّه إليه في التَّفاعلِ مع النَّصِ والإقبال عليه، وقد أسهمت هذه العلاقة الدَّلاليّة في جودةِ الحبكِ للنَّصِ، وبيانِ مقصديّة الخطاب التي تزودُ النَّص بالمفاهيمِ والحقائقِ في ضوءِ هذه العلاقة المنتظمة وعلى هذا الأساسِ أدت علاقة الاستثناء وظيفتها الأساسية في بناءِ النَّص بوساطةِ بناء الأحداث وترتيبها، ومِنْ ثَمَّ تقديمه للمتلقي بقصدِ إثارته وتشجيعه على فهمِ الدَّلالة من النَّصِ.

الخاتمة

لقدْ توصلَ البحث إلى نتائجَ عدّةٍ أهمها: يحدث التَّعاضد النَّصيّ بالعلاقاتِ الدَّلاليّةِ في شعرِ أبي طالبٍ (عليه السلام)على أشكالٍ وصورٍ متعددة سواءٌ أكان هذا التَّرابط شكليّاً أم ضمنيّاً، وتنماز العلاقات الدَّلاليّة بالتَّشابكِ والاندماج فيما بينها، إذ يجعل الصّورة الفنيّة منسجمةً، ومتناغمةً، وأكثر تأثيراً في ذهنِ المتلقي، فهي تُسهمُ أيضاً على تحسينِ الأسلوبِ الشّعريّ، وتعملُ على تَّنظيمِ الأحداثِ داخل النَّص الشعريّ وتماسكه، ويُمكنُ القول: إنَّ العلاقاتِ الدّلاليّةَ لا يكادُ يخلو منها نصٌّ يهدف تحقيق رتبة معلومة منَ التَّتابعِ والتَّواصلِ، فتجعلُ هذهِ العلاقات الدَّلاليّة النَّص أكثر حبكاً، زيادةً على أثرها في تماسكِ المفاهيم التي احتواها مرسلُ النَّصِ في نصّهِ الشّعريّ؛ ليكوّنَ هيأةً نصيّةً عامّةً توجّه قارئ النَّص إلى تأويلِ النَّصِ وفهمهِ فهماً صحيحاً، إذ يعملُ التأويل على تعيينِ هذهِ العلاقات. ولعلاقةِ الإجمالِ والتَّفصيلِ الحظ الأوفر في شعرِ أبي طالبٍ فهي منْ أهمِ العلاقات الدَّلاليّة التي تُسهمُ في ترابطِ أجزاءِ النَّصِ، وكذلكَ يُلحظُ في رابطةِ الاستثناءِ أنه لم يستعمل منْ أدواتِ الاستثناءِ إلَّا أداتي (إلَّا وسوى)، أمَّا في علاقةِ السَّببِ والنَّتيجةِ نرى أنَّ الشَّاعرَ استعملَ في أغلبِ نصوصهِ حرف (الفاء) في تبيانِ علاقة السَّبب والنَّتيجة.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٩ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٤

الهوامش

(١) البديع بينَ البلاغة واللسانيات النّصيّة ، جميل عبد الحميد : ١٤٦ .

(٢) يُنظر : الإتقان ، للسّيوطي : ٥٣/٣.

(٣) لسانيات النّص ، مدخل الى انسجام الخطاب ، محمد خطابي : ٢٧٢ .

(٤) يُنظر : علم اللغة النّصيّ بين النّظرية والتّطبيق ، دراسة تطبيقية على السّور المكية ، صبحي إبراهيم الفقي : ١٤١/٢ .

(٥) أصول تحليل الخطاب في النّظرية النّحوية العربية ، محمد الشّاوش : ٥٧٨/١ .

(٦) يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية ، أحمد مطلوب : ٢٢٨/١ .

(٧) ينُظر : مداخل جديدة للتّفسير، غالب حسن : ٨٦ .

(٨) اجتهادات لغوية ، تمام حسان : ٣٠٣ .

(٩) دينامية النّص (تنظير وإنجاز) ، محمد عبد الفتاح ، المركز الثّقافي العربي ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط٣، ٢٠٠٦م : ٤٩.

(١٠) يُنظر : التّحول الدّينامي لعلاقة الإجمال والتّفصيل في نماذج من الخطاب الشّعري لدى أحمد عبد المعطي حجازي ، ياسين سوايعية : ٥٠٤ .

(١١) ديوان شيخ الأباطح أبي طالبٍ (ع) : ١٢٤ .

(١٢) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥ .

(١٣) يُنظر : جماليات الأسلوبية في لامية أبي طالبٍ (ع) ، برستو سنجي : ١٧ .

(١٤) يُنظر : علم اللغة النّصيّ بينَ النّظرية والتّطبيق دراسة تطبيقية على السّور المكية ، صبحي إبراهيم الفقي : ٢/ ١٤٩- ١٥٠ .

(١٥) يُنظر : البديع بين البلاغة واللسانيات النّصيّة ، جميل عبد المجيد : ١٤٢ .

(١٦) يُنظر : لسانيات النّص النّظرية والتّطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا ، ليندة قياس : ١٤٧ .

(١٧) ديوان شيخ الأباطح أبي طالبٍ (ع) : ٥٢ .

(١٨) علم اللغة النَّصيّ بين النَّظرية والتَّطبيق دراسة تطبيقية على السّور المكية ، صبحي إبراهيم الفقي :١٤٥/١ .

(١٩) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء الكوفي : ٦٠٢ .

(٢٠) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء الكوفي : ٤١٤ .

(٢١) يُنظر : التّماسك النَّصيّ في نهج البلاغة ، عيسى بن السَّيد جواد الوادعي : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٢٢) يُنظر : ديوان شيخ الأباطح أبي طالبٍ (ع) : ٧٥ .

(٢٣) التّعريفات ، للجرجاني ، تحقيق ، محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د، ط، د، ت : ٥٥ .

(٢٤) الفروق اللغوية ، أبو هلالٍ العسكري ، تحقيق ، عماد زكي البارودي ، المكتبة التّوقيفية ، القاهرة ، مصر، د، ط، د، ت : ١٦٤.

(٢٥) يُنظر : البديع تأصيل وتجديد ، سلطان منير ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط١، ١٩٨٦م ، ١٤ .

(٢٦) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ط١، ١٩٨٧م : ٢٣٢/٢ ، والمقتضب في البلاغة العربية ، مصطفى قوقز وأسامة اختيار ، دار رغبة ، إسطنبول ، ٢٠١٧م :١١٩ .

(٢٧) يُنظر : المزهر في علوم اللغة ، للسّيوطي ، تحقيق ، محمد أحمد جاد الله المولى ، وأبو الفضل محمد إبراهيم ومحمد علي البجاوي، القاهرة ، ط١، ١٩٥٨م : ٣٨٧/١ .

(٢٨) النَص والخطاب والإجراء ، دي بوجراند : ٣١٢ .

(٢٩) يُنظر : نظرية علم النّص رؤية منهجية في بناء النّص النّثري : ١٤٢ .

(٣٠) يُنظر : العربية وعلم اللغة الحديث ، محمد داود ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠١م : ١٩٣ .

(٣١) يُنظر : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، صلاح فضل ، كتاب النّادي الأدبي ، جدة ، المملكة العربية السّعودية ، ط١، ١٩٩٨م : ٢٥٦ .

(٣٢) يُنظر : علم اللغة النَّصيّ بين النَّظرية والتَّطبيق دراسة تطبيقية على السّور المكية : ١٤٨/٢ .

(٣٣) ديوان شيخ الأباطح أبي طالبٍ (ع) : ٦٣ .

(٣٤) يُنظر : استراتيجية التَّضاد وعلاقاتها بالنَّزعة الصّوفية في شعر عبد الله العشي ، الخميسي ، شرقي ، مجلة المخبر، جمعة محمد خيضر ، بسكرة الجزائر ، عدد٧ ، ٢٠١١م : ٢٧٦ .

(٣٥) يُنظر : علم لغة النَّص والأسلوب ، نادية رمضان النَّجار : ٨٦ .

[٣٦] يُنظر : هامش ديوان أبي طالبٍ (ع) عمّ النَّبيّ (ﷺ) : ٦٣ .

[٣٧] يُنظر : دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني : ١٠٦ .

[٣٨] يُنظر : البنى الأسلوبية في سورة الشّعراء ، تومان غازي : ١٤٢ .

[٣٩] علم لغة النَّص ، النَّظرية والتَّطبيق ، عزة شبل محمد : ١٨٨ .

[٤٠] يُنظر : شرح المفصل ، ابن يعيش ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان - د - ط - دت :١٢٨ .

[٤١] يُنظر : تهذيب اللغة ، ابن الأزهري ، تحقيق ، محمد عوض مرعب ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ، ط١ : ٢٠٠١م : ٢١١/١١ .

[٤٢] اجتهادات لغوية ، تمام حسان : ٣١١ .

[٤٣] يُنظر : نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة : ٢٠٢ .

[٤٤] ديوان شيخ الأباطح أبي طالبٍ (ع) : ٧١ - ٧٢ .

[٤٥] يُنظر : المظهر التَّداولي لأسلوب الشَّرط في النّحو العربي ، أسامة إبراهيم عمر إمجيدْة ، مجلة كلية اللغات ، جامعة طرابلس ، العدد ١٧، مارس ٢٠١٨م : ١٠ .

[٤٦] يُنظر : علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، أحمد مصطفى المراغي : ٢٢١ .

[٤٧] علم لغة النَّص ، النَّظرية والتَّطبيق : ٢١٤ .

[٤٨] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السَّيد أحمد الهاشمي ،١٩٩٤م : ٢١٤ .

[٤٩] يُنظر: علم لغة النَّص ، النَّظرية والتَّطبيق :٢١٤.

[٥٠] ديوان شيخ الأباطح أبي طالبٍ (ع) :٧٨ - ٧٩ .

[٥١] يُنظر : شعر أبي طالب دراسة أدبية : ٤٦٥ .

[٥٢] يُنظر : علم لغة ، النّص النّظرية والتّطبيق ، عزة شبل محمد : ١٢ .

[٥٣] يُنظر : علم لغة النَّص ، النَّظرية والتَّطبيق : ٢١٢ .

[٥٤] يُنظر : شرح التّسهيل ، لابن مالك جمال الدّين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الأندلسي (٦٧٢هـ) ، تحقيق ، عبد الرَّحمن السّيد محمد بدري المقترن : ٢٦٤/٢ .

[٥٥] يُنظر : جامع الدّروس العربية ، مصطفى الغلاييني - بيروت - لبنان ، دار الفكر ، ٢٠٠٧م : ٤٣٧ .

[٥٦] يُنظر : معاني النّحو ، فاضل السَّامرائي : ٢٤٩ .

[٥٧] ديوان شيخ الأباطح أبي طالبٍ (ع) : ٣٥ .

[٥٨] يُنظر : السَّيرة النّبوية ، لابن هشامٍ : ١٢٤/١ - ١٢٥ ، والسّيرة النّبوية / ابن كثير :٧٩/١٠ .

[٥٩] يُنظر : الاتّساق والانّسجام في الشّعر الأموي (نص للفرزدق أنموذجا) مقاربة لسانية نصيّة ، محمد القناعي : ٦٨٧ .

[٦٠] يُنظر : الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي : ٢٥/٢ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاتساق والانسجام في الشّعر الأموي (نص للفرزدق أنموذجاً) مقاربة لسانيّة نصيّة ، محمد القناعي .
- الإتقان في علومِ القرآن ، جلال الدّين السيوطيّ (٩١١هـ) .
- اجتهادات لغويّة ، تمّام حسّان ، ط١ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٧م .
- استراتيجية التَّضاد وعلاقاتها بالنَّزعة الصّوفيّة في شعر عبد الله العشي ، الخميسي ، شرقي ، مجلة المخبر ، جامعة محمد خضبر ، بسكرة ، الجزائر ن عدد٧ ، ٢٠١١م .
- أصول تحليل الخطاب في النّظرية النَّحويّة العربيّة (تأسيس نحو النَّص) ، محمد الشّاوش ، ط١ ، تونس ، ٢٠٠١م .

- البديع بين البلاغة واللسانيّات النَّصيّة ، جميل عبد المجيد .
- البديع تأصيل وتجديد ، سلطان منير ، منشأة المعرف ، الإسكندرية ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- البنى الأسلوبية في سورة الشّعراء ، تومان غازي الخفاجي ، ط١ ، دمشق ، تموز للطباعة والنَّشر والتوزيع ، ٢٠١٢م .
- التَّحول الدّينامي لعلاقة الإجمال والتَّفصيل في نماذج من الخطاب الشّعريّ لدى أحمد عبد المعطي حجازي ، ياسين سوايعية
- التَّعريفات ، علي بن محمد بن علي الزّين الشّريف الجرجاني (٨١٦هـ) ، تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د،ط،د،ت .
- التَّماسك النَّصيّ دراسة تطبيقية في نهج البلاغة ، عيسى بن السيّد جواد الوادعي .
- تهذيب اللُّغة ، ابن الأزهري ، تحقيق ، محمد عوض مرعب ، دار إحياء التَّراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- جامع الدّروس العربية ، مصطفى الغلاييني ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، ٢٠٠٧م .
- جماليات الأسلوبية في لامية أبي طالبٍ ع) ، برستو سنجي .
- جواهر اللُّغة في المعاني والبيان والبديع ، السيّد أحمد الهاشمي ، ١٩٩٤م .
- دينامية النَّص (تنظير وإنجاز) ، محمد عبد الفتاح ، المركز الثَّقافي العربي ، الدَّار البيضاء ، المغرب ، ط٣ ، ٢٠٠٦م .
- ديوان شيخ الأباطح أبي طالبٍ (ع) ، جمع أبي هفان عبد الله بن أحمد المهزمي (٢٧٥هـ) ، تحقيق واستدراك ، المحقق الخبير العلامة الحاج محمد باقر المحمودي ، مجمع إحياء الثَّقافة الإسلامية .
- ديوان أبي طالبٍ (ع) عمّ النَّبيّ (ﷺ) ، جمعه وحققه ، الدّكتور محمد النَّونجي ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٩٩٤م .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) .
- السّيرة النَّبويّة ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) .
- السّيرة النَّبويّة ، أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) .
- شرح التَّسهيل ، ابن مالك جمال الدّين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطّائي الأندلسي (٦٧٢) ، تحقيق ، عبد الرَّحمن السيّد محمد بدري المقترن .
- شرح المفصل ، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السّرايا محمد بن علي (ابن يعيش) (ت٦٤٣هـ) ، تقديم ، إميل بديع يعقوب ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان - د - ط - دت .
- شعر أبي طالبٍ دراسة أدبية ، هناء عبّاس عليوي كشكول .
- الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلو حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٥هـ) .
- العربية وعلم اللُّغة الحديث ، محمد داود ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- علم اللغة النَّصيّ بينَ النَّظري والتَّطبيق دراسة تطبيقية على السّور المكية ، صبحي إبراهيم الفقي .
- علم لغة النَّص والأسلوب ، نادية رمضان النَّجار .
- علم لعة النَّص ، النَّظرية والتَّطبيق ، عزة شبل محمد .
- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، أحمد مصطفى المراغي .
- الفروق اللُّغويّة ، أبو هلالٍ العسكري (٣٩٥هـ) ، تحقيق ، عماد زكي البارودي ، المكتبة التَّوقيفية ، القاهرة ، مصر ، د،ط،د،ت .
- الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغويّة ، أبو البقاء الكوفي .
- لسانيات النَّص النَّظرية والتَّطبيق مقامات الهمذاني أنموذجاً ، ليندة قياس .

- لسانيات النَّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي .
- مداخل جديدة للتفسير ، غالب حسن .
- المزهر في علوم اللُّغة ، جلال الدّين السّيوطيَ ، تحقيق ، محمد أحمد جاد الله المولى ، وأبو الفضل محمد بن إبراهيم وحمد بن علي البجاوي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٨م .
- المظهر التّداولي لأسلوب الشّرط على النَّحو العربي ، أسامة إبراهيم عمر أمجيدة ، مجلة كلية اللُّغات ، جامعة طرابلس ، العدد١٧ ، مارس ٢٠١٨م .
- معاني النَّحو ، فاضل السّامرائي .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي .
- المقتضب في البلاغة العربية ، مصطفى قوقز وأسامة اختيار ، دار رغبة ، إسطنبول ، ٢٠١٧ .
- النَّص والخطاب والإجراء ، دي بوجراند .
- نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجُملة العربية ، مصطفى حميدة .
- نظرية علم النَّص رؤية منهجية في بناء النَّص النثري ، حسام أحمد فرج ، تقديم ، سليمان العطار و محمود فهمي حجازي .